

التبيان في تفسير القرآن

(487) بعد موتكم لحياكم وحشركم ولم تفوتوا الله، إلا أنه خرج مخرج الامر، لانه أبلغ في الالتزام، كأن أكثر ما يكون منهم مطلوب حتى يروا أنه هين حقير " أو خلقا مما يكبر في صدوركم " فقليل في معناه ثلاثة أقوال: قال مجاهد: السموات والارض والجبال. وقال قتادة: أي شئ استعظموه من الخلق. وقال ابن عباس. وسعيد بن جبير والفراء: انه الموت. قال الفراء قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت لو كنا الموت من كان يمينتنا؟ ! فأنزل الله " أو خلقا مما يكبر في صدوركم " يعني الموت نفسه أي ليعتد الله عليكم من يمينكم ثم يحييكم. " فسيقولون من يعيدنا " اخبا رمنه حكاية عن هؤلاء الكفار انهم يقولون من يعيدنا احياء؟ فقال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم " قل الذي فطركم اول مرة " أي الذي خلقكم ابتداء يقدر على إعادتكم، لان ابتداء الشئ اصعب من إعادته، كما قال " وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه " (1) وقال لما قالوا " من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها اول مرة وهو بكل خلق عليم " (2) وإنما قال لهم ذلك، لانهم كانوا يقرون بالنشأة الاولى. وقوله " فسينغضون اليك رؤوسهم " معناه انهم إذا سمعوا لهذا حركوا رؤوسهم مستبعدة لذلك. وقال ابن عباس يحركون رؤوسهم مستهزئين، يقال: انغضت رأسي انغضه انغاضا، ونغض براسه ينغض نغضا إذا حركه والنغض تحريك الراس بارتفاع وانخفاض. ومنه قيل للظلم نغض، لانه يحرك رأسه في مشيه بارتفاع وانخفاض قال العجاج: اصك نغضا لايني مستهدجا (3) ونغضت سنه إذا تحركت من اصلها قال الراجز: ونغضت من هرم اسنانها (4) _____

(1) سورة 30 الروم آية 27 (2) سورة 36 يس آية 79 (3) تفسير الطبري 15: 65 وتفسير الشوكاني 3: 226 (4) تفسير الطبري 15 / 65 وتفسير الشوكاني 3: 226 وتفسير القرطبي 10: 274 ومجاز القرآن 1: 382